

الاتجاهات المنحرفة في التفسير

Ahmet ALABALIK*

Rey ile Makbul Olmayan Tefsir Yönelimleri

Özet

Bu makalede Kur'an tefsirinde âlimler nezdinde kabul edilmeyen re'ye başvuru olarak yapılan tefsir, bu tefsir yönteminin doğuşu, yönelimleri ele alınmıştır. Ayrıca bu yönetime dair örnekler alınarak uygulamalı bir şekilde incelenmiştir. Rey ve rivayet tefsirlerinin ortaya çıkışı sahabe dönemine kadar uzanan bir tarihe sahiptir. Makbul edilmeyen görüşlerle tefsir ise mezheplerin ortaya çıkışıyla başlamıştır. Rey ile tefsir insanlığın ihtiyacının gerektirdiği bir gereksinimdir. Rey ile tefsirin bazı şartları bulunmaktadır. Rey ile tefsirin makbul olmayan türleri ise sahibini dinden çıkaran aşırı görüşler ile, onu din dairesi içinde bırakan görüşler olarak iki kısma ayrılabilir.

Anahtar Kelimeler: Kuran, Tefsir, Rey, Metot, Müfessir

Inclinations of Interpretation Quran by Opinion That Is Not Accepted

Abstract

This article is about the interpretation of Quran by opinion that is not accepted by scholars, the birth of the method of interpretation Quran and their inclinations. There are also practice examples for this method. The interpretation Quran by opinion and relating strated during prophet's companion. But the interpretation Quran by opinion that is not accepted started during Islamic religious sect. The interpretation Quran by opinion is a requirement necessity. There are two conditions; the interpretation Quran by opinion that is not accepted is divided into two parts: Extreme opinions to remove the religious person from his religion. Opinions that leare the religious person in the circle of his religion.

Key Words: Quran, Interpretation of Quran, Opinion, Method, Interpreter of Quran

* Yrd. Doç. Dr. Fatih Sultan Mehmet Üniversitesi, İslami İlimler Fakültesi, Tefsir Anabilim Dalı

الاتجاهات المنحرفة في التفسير

المقدمة

فهذا بحث موجز عن اتجاهات التفسير بالرأي المذموم وقد قسمته إلى قسمين :

القسم الأول : يتناول نشأة اتجاهات التفسير بالرأي المذموم.

القسم الثاني : نماذج من التفسير بالرأي المذموم.

وقد ذكرت في هذا البحث نبذة موجزة عن نشأة هذا الاتجاه واسبابه واهم ما قاله العلماء في نقده ثم ذكرت بعد ذلك نماذج تبين الانحراف الواقع في تفسير بعض الايات والتي تناولها بعض من تصدى لتفسير القرآن الكريم. وعلى الله قصد السبيل...

المبحث الأول

نشأة اتجاهات التفسير بالرأي المذموم

جرى التفسير منذ زمن النبوة إلى زمن اتباع التابعين على طريقة تكاد تكون واحدة، ولكن في كل عصر كانت التفاسير تتضخم وتتجدد، وذلك لأن نواحي الغموض كانت تزداد كلما ابتعد العصر عن زمن النبوة. وهذا التضخم في التفسير لم يكن إلا نتيجة محاولات عقلية

اجتهادية لم يخرج عن قواعد اللغة ولم تتجاوز الكتاب والسنة، فلم تخرج من دائرة الرأي المحمود إلى الرأي المذموم المنحرف.

ظل الأمر كذلك إلى أن نشأت الفرق الإسلامية واحدة تلو الأخرى، وتفرقت الأمة في قضايا كبيرة، وظهرت المذاهب الاعتقادية المختلفة، وبعد أن كان القرآن سبباً لاجتماع الأمة على كلمة سواء، أصبح هدفاً لأصحاب المذاهب كلٌّ يبحث فيه عن دليل ينصر به مذهبه ويؤيد رأيه، ولو كان ذلك بطريق إخضاع النصوص لمذهبه وهواه وتأويل ما ينافي مذهبه

ومن هنا بدأت التفاسير تخرج عن دائرة الرأي المحمود المقبول إلى دائرة الرأي المذموم المردود، وظهرت الاتجاهات المنحرفة في التفسير بالرأي.

ولا أريد أن أتعرض لنشأة هذه الفرق، لأن هذا الموضوع توفيه حقه كتب الملل والنحل، ولكنني أود أن أبين أسباب الانحراف في التفسير، ومظاهر هذا الانحراف.

ومن المعلوم أن وقوع المفسرين في الخطأ أمر متوقع غير مستغرب، لأنه لا أحد معصوم عندنا إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد وقع الخطأ من الصحابة، ومن التابعين وأتباع التابعين : وهؤلاء صفوة الأمة وقد زكاهم الله ورسوله. لكن اجتهداتهم وأخطائهم لم ينعتها أحد بأنها أراء مذمومة، فحتى أخطائهم كانت ضمن (الخطأ المقبول) ولهذا قسم العلماء الأخطاء إلى ثلاثة أصناف :

الأول : الخطأ في الهدف والقصد والباعث

وهذا يعتبر خطأ جذرياً، وهو أخطر أنواع الخطأ وأشدّها. فبعض الناس قد يقبل على القرآن وينظر فيه لحاجة في نفسه، ولهذه خبيث يريد تحقيقه، ولمقصود غير سليم. فهذا سيحرف معاني الآيات ويقولها

ما لم تقل، وذلك لتشهد لما عنده من هوى وباطل وانحراف، كأصحاب الأديان مثل : اليهود والنصارى، وأصحاب الأفكار والمبادئ الجاهلة الباطلة، كالشيوعية والعلمانية، ومن هؤلاء المستشرقون الذين يبحثون في القرآن وعلومه وتفسيره، فقد ينظر أحد هؤلاء في القرآن، ليس إيماناً به، لأنه غير مسلم، ولا خدمة له، لأنه لا يبتغي بعمله وجه الله. إنما ينظر في القرآن ليقدم دينه أو مذهبه أو فكرته، ويلبس على المسلمين، ويشوه أفكارهم وعقيدتهم، ويحرف معاني الآيات ليقومهم في الحيرة والشك، إذ أن أصحاب الأهواء حينما ينظرون في القرآن، يكون نظرهم باطلاً، وتكون نتائجه باطلة لأنها قائمة على تحريف معاني الآيات. وسبب ذلك والخطأ الذي وقعوا فيه، هو الخطأ في الهدف والقصد وبالتالي يصدر عن القصد المنحرف تفسير منحرف، فلا بد من الحذر.

الثاني : الخطأ في المنهج

أصحاب هذا الخطأ تجاوزوا الخطأ الجذري السابق الذكر، فلم يكن مقصدهم وباعثهم خبيثاً، وإنما كان سليماً نقيّاً، لكنهم وقعوا في خطأ منهجي في نظرهم وتدبرهم للقرآن، فلم يراعوا قواعد التفسير، ولم يحصلوا العلوم الضرورية للمفسر، كما لم تتوفر فيهم صفات المفسرين، ورغم ذلك أقبلوا على القرآن ينظرون فيه ويفسرونه وهم يملكون مقصداً سليماً، وباعثاً صواباً، وهو خدمة القرآن وتدبره، وسلامة المقصد والنية لا تكفي لحسن فهم القرآن، ولذلك يقع هؤلاء في أخطاء كثيرة في التفسير.

ولا بُدّ من أن نكون منصفين حال التعامل مع هذا النوع من التفسير فنسجل عليهم الأخطاء ونجتنبها، ونسجل لهم الصواب، ومثال على ذلك : ما كتبه المفسرون من الفرق الإسلامية كالمعتزلة والخوارج والشيعة والصوفية.

فلا يمكن اتهام أمثال الزمخشري والقاضي عبد الجبار في مقصدهم لأنهم من المعتزلة، وكذلك الطبرسي والطبائبي الشيعيين، فهؤلاء ضمن دائرة الإسلام، وقد أقبلوا على القرآن كي يفهموه ويدرسوه ويفسروه، لكنهم وقعوا في الخطأ، بسبب استخدامهم للمنهج الخاطئ في تفسيرهم سواء في المسائل العقائدية أو الفقهية وكذلك الحديث الشريف وحياة الصحابة والسيرة.

الثالث : الخطأ في بعض الجزئيات الفرعية :

وهؤلاء سلموا من الخطأين السابقين، فمقصدهم سليم، وباعثهم صواب، ومنهجهم في التعامل مع القرآن سليم أيضاً، فكانت تفسيراتهم لكتاب الله صحيحة صائبة في مجملها، والخطأ الذي وقع فيه هؤلاء، خطأ في بعض الجزئيات الفرعية، أو في عرضهم لبعض الأفكار، أو تعبيرهم عن بعض المعاني أو في الخروج ببعض النتائج، وهذا خطأ عرضي غير مقصود وهو ملازم للبشر، ومنهم العلماء والمفسرون، ولم ينج من هذا الخطأ إلا من عصمه الله، ولا معصوم عندنا إلا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

يقول الدكتور صلاح الخالدي : ”ينطبق هذا على المفسرين من الصحابة والتابعين كما ينطبق على المفسرين من أتباع التابعين وتابعيهم الذين وصلتنا تفاسيرهم مثل : مجاهد، والحسن البصري، وعبد الرزاق الصنعاني، والطبرسي، والرازي، وابن كثير، والبيضاوي، والنسفي، والقرطبي، والآلوسي، ورشيد رضا، وسيد قطب، ...، وغيرهم. يجب أن نكون منصفين موضوعيين مع هؤلاء، وحبنا لبعضهم لا يدفعنا لغض الطرف عن أخطائهم، كأن نقول : لم يخطئ الطبري، وابن كثير، وابن تيمية وسيد قطب ...“^(١)

١ الخالدي، تعريف الدارسين بمنهج المفسرين، ص ١٢١ - ١٢٤، بتصرف.

من الأخطاء المؤدية إلى الانحرافات في التفسير^(٢)

١. دخول عالم القرآن بمقررات فكرية سابقة :

يقول الشيخ أبو الأعلى المودودي :

” ينبغي على القارئ - قبل أن يبدأ دراسته للقرآن - أن يضع في ذهنه حقيقة هامة ؛ هي أن هذا الكتاب فريد في أصله وفصله، مختلف تمام الاختلاف عما اعتاد أن يقرأه من كتب ... “^(٣)

يقول سيد قطب :

” ومنهجنا في استلهم القرآن الكريم، ألا نواجهه بمقررات سابقة إطلاقاً، لا مقررات عقلية، ولا مقررات شعورية - من رواسب الثقافات التي لم نستقها من القرآن ذاته - نحاكم إليها نصوصه، أو نستلهم معاني هذه النصوص وفق تلك المقررات السابقة ...! “^(٤)

٢. الخطأ في فهم بعض الآيات : لحرصهم على الاستدلال على بعض الأفكار الصحيحة بالقرآن مع أنه لا داعي لذلك، ومن ثم الانحراف في تفسيرها، وتقويلها ما لم تقل به، والخروج منها بنتائج خاطئة، لأن هؤلاء كانوا يبحثون عن أدلة من آيات القرآن على ما عندهم من آراء.

٢ استفدت في هذا الموضوع من : الذهبي، الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم دوافعها ودفعها ص

١٥-٢٠، والعلك، أصول التفسير وقواعده ص ٢٢٧-٢٣٠ والخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ص ١٢١ - ١٣٧. ويمكن أن يستفاد من كتاب أ.د. فضل حسن عباس، المفسرون ; مدارسهم ومناهجهم ط ١ دار النفائس، الأردن، ٢٠٠٧، ص ٧٢٠، ٧١٩، وكتابه: التفسير ; أساسياته ومناهجه، ط ١، مكتبة دنديس، الأردن، ٢٠٠٥، ص ٧٠٨، ٦٦٥

٣ المودودي، أبو الأعلى، تفهيم القرآن، تعريب أحمد إدريس، الطبعة الأولى، دار القلم، الكويت، ١٩٧٨، المقدمة ص ٧.

٤ قطب، سيد، خصائص التصور الإسلامي، دار الشروق، بيروت، ص ١٦-١٧.

٣. عدم اتباع أحسن طرق التفسير : وهي تفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسنة الصحيحة، ثم باللغة، وأخيراً إعمال الرأي والاستنباط.
٤. عدم اعتماد الأحاديث الصحيحة في التفسير، وقبول أحاديث موضوعة أو ضعيفة، وتفسير الآيات بها.
٥. التساهل في رواية الإسرائيليات، أو الروايات غير الثابتة المتعلقة بأحداث القصص القرآني، وسير الأنبياء والمرسلين، عليهم الصلاة والسلام.
٦. عدم البقاء مع القراءات العشر الصحيحة : وقبول قراءات غير صحيحة من غير العشرة، مع أن القراءات الشاذة ليست قرآناً. وترجيح بعضهم لبعض القراءات الصحيحة، مع أن الترجيح بينها لا يجوز لأنها كلها كلام الله.
٧. التساهل عند أخذ أقوال الصحابة والتابعين : وعدم اعتماد ما صحّ منها، وذكر روايات متعارضة مختلفة عن الصحابي أو التابعي، وترك القارئ في حيرة أمام الأقوال الكثيرة التي وضعوها أمامه بحيث يصعب عليه الترجيح أو الاختيار.
٨. الاستطراد والخروج عن التفسير إلى غيره : حيث كان المفسر يتوسع في بحث بعض الموضوعات والمسائل والقضايا ليس لها صلة مباشرة بالتفسير.
٩. الانشغال بمعارك فكرية ومناقشات مختلفة : حيث كانوا يحولون التفسير إلى ساحة معركة تتصارع عليها مختلف الآراء والأفكار، وتتقاتل عليها مختلف المذاهب والفرق، وخاصة المسائل المتعلقة بالعتيدة والإيمان، وكم تقاوت الفرق المختلفة أثناء تفسير الآيات، من معتزلة وخوارج وشيعة وأشاعرة وسلفية وغيرهم، حيث أنهم فسروا القرآن

بمقرراتهم الفكرية السابقة فوقعوا في خطأ الدليل والمدلول معاً أو أخطأوا في الدليل لا في المدلول.^(٥)

١٠. الإستشراق والإستغراب: يعتبران من مظاهر الإنحراف في التفسير بالرأي^(٦)
هذه بعض أسباب الانحراف في التفسير بالرأي، أما مظاهر هذا
الانحراف فهو ما يلي :

مظاهر الانحراف في التفسير بالرأي.

١. أن يكون المعنى الذي يريده المفسر صواباً غير أن لفظ القرآن لا يدل عليه ولا يراد منه. وحتى يجعل المفسر معناه قرآنياً يحمل عليه اللفظ القرآني ومع ذلك لا ينفي المعنى القرآني الظاهر الذي دل عليه اللفظ القرآني حقيقة. وهذا النوع ينطبق على كثير من تفاسير الصوفية والوعاظ، ومثال ذلك تفسير الصوفي (أبي عبد الرحمن السلمي) لقوله تعالى ” ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو أخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم“^(٧). حيث قال : (أي : اقتلوا أنفسكم بمخالفة هواها، أو اخرجوا من دياركم : أي اخرجوا حب الدنيا من قلوبكم ...) ^(٨). فإن وجوب مخالفة الهوى ووجوب إخراج حب الدنيا من القلب معنى صواب. ولكن المعنى الظاهر لكل من (اقتلوا ... اخرجوا ...) غير ما ذهب إليه السلمي لأن القتل لا يكون إلا بإزهاق الروح، كما أن الخروج معناه الخروج من الديار بمغادرتها، إضافة معنى قتل الهوى وإخراج حب الدنيا

٥ أنظر ، ابن تيمية، أحمد، مقدمة في أصول التفسير، الطبعة الثالثة، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٩٧هـ، ص : ٣١ وما بعدها.

٦ فضل حسن عباس، التفسير ؛ أساسياته ومناهجه، ص ٦٦٥، ٧٠٨
٧ النساء ٦٦.

٨ العك، أصول التفسير وقواعده ص ٢٨، نقلاً عن تفسير السلمي / ٤٩، الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ص ٤٩٧، بتصرف.

من القلب إلى المعنى الظاهري من الآية خطأ في الاستدلال، لأن اللفظين القرآنيين (القتل) و(الخروج) لا يدلان عليه .

٢. أن يكون المعنى الذي يريده المفسر صحيحاً، لكن ظاهر النص لا يحتمله، وهذه الصورة تنطبق على تفاسير بعض الصوفية الذين يفسرون القرآن بمعان إشارية صحيحة في ذاتها ومع ذلك فإنهم يقولون : أن المعاني الظاهرة للآية غير مرادة، وتفسير هؤلاء أقرب ما يكون إلى تفسير الباطنية، ومن ذلك ما فسر به سهل التستري قوله تعالى : ” ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ”^(٩) حيث قال : ” لم يرد الله معنى الأكل في الحقيقة، وإنما أراد معنى مساكنة الهمة لشيء هو غيره ”. فالتستري نفى الأكل من النهي، مع أن النهي يدل عليه وهذا سلب له عن معناه المراد، ثم حمله على أن المراد به الاهتمام بغير الله، والإقبال على غيره، وهذا غير مراد من النهي، مع أن هذا النهي صواب في نفسه.^(١٠)

٣. أن يكون المعنى الذي يريد المفسر نفيه أو إثباته خطأ في نفسه، واللفظ القرآني لا يدل عليه، ولكن لا ينفي الظاهر فيحمل المفسر اللفظ القرآني عليه، ومن ذلك ما ذكره بعض المتصوفة من المعاني، ومثال عليه : تفسير الصوفي (ابن عربي) لقوله تعالى : (واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً)^(١١)

حيث قال : ” واذكر اسم ربك الذي هو أنت، أي اعرف نفسك ولا تنسها، فينساك الله !! فالمعنى الذي أراد ابن عربي إثباته خطأ في ذاته، وهو قول بوحدة الوجود، فالرب والإنسان عنده شيء

٩ البقرة : ٣٥.

١٠ الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ص ٤٩٨، العك، أصول التفسير

وقواعده، ص ٢٢٨-٢٢٩

١١ المزمّل : ٨

واحد، فهذا المعنى باطل، ومع هذا لم ينف ابن عربي المعنى
الظاهر من الآية.^(١٣)

٤. أن يكون المعنى الذي يريد المفسر نفيه أو إثباته خطأ في
نفسه، واللفظ القرآني لا يدل عليه، ومع ذلك ينفي المراد من ظاهر
اللفظ القرآني فيحمل اللفظ القرآني عليه، ويسلب لفظ القرآن ما يراد
به ويدل عليه، ويحمّله على ذلك الخطأ تعمّداً، وهذه الصورة تنطبق
على تفاسير أهل البدع والمذاهب الباطلة من الغلاة والمتعصبين،
كتفسير بعض الغلاة من الشيعة لقوله تعالى : ” ألم تر إلى الذين
أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت “^(١٣) فقالوا : الجبت
والطاغوت هما أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب!^(١٤)

وأحياناً يحتالون في صرف اللفظ القرآني عن ظاهره إلى معنى
آخر لا يدل عليه، وفيه تكلف وتحريف، وذلك لتعارض المعنى مع
مذهبهم الباطل. وذلك كتفسير بعض المعتزلة لقوله تعالى : (وجوه
يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)^(١٥) حيث فسروا (إلى) في الآية بالنعمة،
وقالوا : (إلى) مفرد (آلاء) وفي الآية تقديم وتأخير. والتقدير : وجوه
ناظرة إلى ربها : أي تنظر نعمة ربها !!

وهكذا صرفوا الآية عن المعنى المخالف لمذهبهم^(١٦).

٥. أن يكون اللفظ محتملاً للمعنى الذي ذكره المفسر لغة، ولكنه
غير مراد، وذلك كاللفظ الذي يطلق في اللغة على معنيين أو أكثر،

١٢ الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ص ٤٩٩، العك، أصول التفسير
وقواعده، ص ٢٢٨-٢٢٩

١٣ النساء : ٥١.

١٤ الخالدي، تعريف الدارسين، ص ٤٩٩، العك، أصول التفسير وقواعده، ص ٢٢٨ - ٢٢٩.

١٥ القيامة : ٢٢-٢٣.

١٦ العك، أصول التفسير وقواعده، ص ٢٢٩، الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج
المفسرين، ص ٥٠٠.

ويفهم كل معنى في سياق بعينه. فيأتي المفسر فيحمله على معنى آخر من معانيه غير المراد، وذلك كلفظ (أمة) فإنه يطلق على معان متعددة، ولا يمكن الوصول إلى المعنى المراد إلا بالسياق الذي ورد فيه هذا اللفظ، حيث إن السياق مهم جداً للوصول إلى المعنى المراد.

٦. أن يكون اللفظ موضوعاً لمعنى بعينه، ولكنه غير مراد في الآية، وإنما المراد معنى آخر غير ما وضع له اللفظ بقرينة السياق، فيخطئ المفسر في تعيين المعنى المراد، لأنه اكتفى بظاهر اللغة، فيفسر اللفظ على معناه الوضعي، وذلك كما في قوله تعالى : (وآتينا ثمود الناقة مبصرة)^(١٧) فيجعل ”مبصرة“ من الإبصار بالعين على أنها حال من الناقة، وهذا خلاف المراد، إذ المراد : آية واضحة على صدق نبوته، وقد يؤدي إلى انحراف التفسير في مثل هذه المواضع التفسير بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي. والله أعلم.^(١٨)

يمكن القول بأن الاتجاهات المنحرفة في التفسير ترجع إلى :

١. سوء نوايا المفسرين لتحقيق غاياتهم المنكرة وأغراضهم المشبوهة^(١٩).

٢. أن يعتقد المفسر معنى من المعاني، ثم يريد أن يحمل ألفاظ القرآن الكريم على ذلك المعنى الذي يميل إليه ويعتقده. قلت وهذا من أهم أسباب الانحراف قديماً وحديثاً.

هذا باختصار أهم الأسباب التي أدت إلى الانحراف في التفسير. وقد تعرض الدكتور الذهبي في كتابه ”الاتجاهات المنحرفة في التفسير“ إلى اتجاهات الإخباريين والقصاص، واتجاهات أصحاب

١٧ الإسراء : ٥٩.

١٨ العك، أصول التفسير وقواعده، ص ٢٢٩.

١٩ المرجع السابق. ص ٢٢٩

المذاهب النحوية، واتجاهات بعض من يجهلون قواعد اللغة العربية، واتجاهات المذاهب والفرق الدينية، واتجاهات القائلين بأن القرآن حوى جميع العلوم

الكونية، واتجاهات دعاة التجديد من المحدثين، ووضح كل اتجاه منها وضرب له الأمثلة الكافية، ومن ثم أنصح بالرجوع إليه لمعرفة التفاصيل.^(٢٠)

المبحث الثاني

نماذج من اتجاهات التفسير بالرأي المذموم

١. المعتزلة والتفسير :

لما ظهرت المذاهب الدينية تأثر التفسير بها إلى حد كبير، ذلك أن القرآن الكريم كان هو المرجع الأول الذي يقصد إليه أصحاب المذاهب المختلفة من المسلمين ليأخذ كل منهم ما يشهد لمذهبه ولو بطريق إخضاع النص القرآني له، وقسره على موافقة رأيه وهواه، وتأويل ما يصادمه من ذلك تأويلاً لا ينافي مذهبهم ولا يعارض عقيدته. وكانت فرقة المعتزلة من بين هذه الفرق التي تأولت كثيراً من آيات القرآن على غير تأويلها، واتجهت بالكثير من نصوصه اتجاهاً منحرفاً.^(٢١)

فالمعتزلة وضعوا أصولاً لمذهبهم - وهي ما يسمى بالأصول الخمسة عند المعتزلة - والمتمثلة في : العدل، التوحيد، الوعد، والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه الأصول ما أجمع عليه المعتزلة، ولا يعتبر معتزلياً من لم يعتقدوها.

٢٠ الذهبي، محمد حسين، الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم، دوافعها ودفعها، الطبعة الأولى، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٩٧-١٥.

٢١ المرجع السابق، ص ٤٧.

ثم تفرعت من هذه الأصول مسائل خالفوا فيها أهل السنة والجماعة، وأهم هذه المسائل ما يلي :

١. مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، وهو مخلد في النار.
٢. أوجبوا على الله إثابة الطائع، ومعاقبة العاصي، ولا يجوز العفو عن مرتكب الكبيرة ولا دخوله في الشفاعة.
٣. فعل الأصلح واجب على الله تعالى.
٤. رؤية الله مستحيلة في الدنيا والآخرة.
٥. صفات الباري عين ذاته.
٦. أفعال العباد الاختيارية مخلوقة لهم، وأن الهداية والضلال من العبد.
٧. الحسن والقبح ذاتي للأفعال.
٨. الجنة والنار ليستا موجودتين الآن.
٩. أن الحرام ليس برزق.
١٠. أن الله لا يأمر إلا بما يريد.

وبعد أن وضعوا هذه الأصول وخالفوا غيرهم في تلك المسائل بحثوا في القرآن عن أدلة تؤيد أصولهم فإن وجدوا ما يخالف أصولهم أولوا. وهذا أدى إلى الانحراف في التفسير عندهم، وفيما يلي اذكر نماذج من تفسيرهم المنحرف :

في قوله تعالى (وكلم الله موسى تكليماً) ^(٣٢) وجدوا في هذه الآية ما يعارض مذهبهم، بادروا إلى تحويل النص عن معناه إلى ما يتفق ومذهبهم، فقرأوا (وكلم الله موسى تكليماً) بنصب لفظ الجلالة على أنه مفعول لفعل الكلام من موسى - أي أن موسى

كَلَّمَ الله - فحرّفوا القراءة وفق أهوائهم.. وبعض المعتزلة يبقي النص القرآني على قراءته المتواترة، ولكنه يحمله على معنى بعيد حتى لا يبقى مصادماً لمذهبه، فيقول إن (كَلَّمَ) من (الكَلَّمَ) بمعنى الجرح، فالمعنى : وجرح الله موسى بأظفار المعنى ومخالب الفتن؛ وذلك ليفرّ من ظاهر النظم القرآني الذي يصادم عقيدته، ويخالف مذهبه..^(٢٣) ومن الأمثلة على الاتجاه المنحرف عند المعتزلة في التفسير أيضاً : ما ذهب إليه القاضي عبد الجبار في كتابه (تنزيه القرآن عن المطاعن) عندما عرض لتفسير قوله تعالى (من يهد الله فهو المهتدي ومن يضل فأولئك هم الخاسرون)^(٢٤) حيث يقول : ”من يهد الله إلى الجنة والثواب فهو المهتدي في الدنيا، ومن يضل عن الثواب إلى العقاب، فأولئك هم الخاسرون في الدنيا) الذي دفع القاضي عبد الجبار إلى التفسير المنحرف في تأويل الآية انتصاره لمذهبه، لأن المعتزلة يزعمون أن الله تعالى لا يخلق الهدى ولا الضلال في الدنيا، وأنهما من خلق العباد. وأكتفي بمثالين من التفسير المنحرف للمعتزلة وذلك خشية الإطالة.

٢. الشيعة والتفسير :

لم يسلم الشيعة من الانقسام والتفرق، فمنهم من غالى فاعتبر علياً قد وصل إلى درجة الألوهية، ومنهم من اعتدل فاعتبر أن علياً كرم الله وجهه أفضل من غيره من الصحابة، وأنه أولى بالخلافة وأجازوا تولية المفضل مع وجود الفاضل، ومنهم من اتخذ موقفاً وسطاً، فاعتبروا علياً إماماً معصوماً وهو خليفة الله بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن هذه الخلافة

٢٣ العك : أصول التفسير وقواعده، ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

٢٤ الأعراف : ١٧٨.

انتزعت منه انتزاعاً. هذه الفرقة هي الشيعة الاثنى عشرية، أو الإمامية. وهي الفرقة التي سأعرض لتفسيرها المنحرف، وقد أعرضت عن الغلاة منهم لأنهم خارجون عن دائرة الإسلام فلا يعتد بتفاسيرهم، أما المعتدلة منهم وهم (الزيدية) فسأعرض عنهم أيضاً لأنهم أقل انحرافاً من الإمامية ويعتبرون قريبين إلى أهل السنة، وتجنباً من الإطالة.

وهؤلاء قد وضعوا أصولاً لمذهبهم كالمعتزلة، وفيما يلي أصولهم الخمسة :

١. التوحيد.
٢. العدل.
٣. النبوة.
٤. الإمامة.
٥. المعاد.

وهذه الأصول الخمسة تتضمن عقائد أخرى مثل :

٦. البداء
٧. العصمة
٨. المهديّة
٩. الرجعة
١٠. التقية
١١. الخمس

١٢. نكاح المتعة... وغيرها من الأمور المتعلقة بعقيدتهم. وتأيداً لمذهبهم أولوا آيات قرآنية وبالتالي انحرفوا وفيما يلي نماذج لانحرافهم في التفسير.

تفسيرهم لقوله تعالى : (لتركبن طبقاً عن طبق) ^(٢٥) يقولون : إنه إشارة إلى أن هذه الأمة ستسلك سبيل من كان قبلها من الأمم في الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء ويعتبرون هذا المعنى من المعاني الباطنة لبعض الآيات القرآنية يشير إلى ما سيحدث في المستقبل من حوادث ويعدون هذا من وجوه إعجاز القرآن الكريم.

ومن مظاهر الانحراف في تفاسيرهم تفسيرهم أيضاً للحروف المقطعة في أوائل السور، كقوله تعالى : (كهيعص) ^(٢٦) حيث قالوا : الكاف : اسم كربلاء، الهاء : هلال العترة، الياء : يزيد لعنه الله وهو ظالم لحسين، والعين : عطشه، والصاد : صبره،... ^(٢٧)

وفي قوله تعالى : (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) ^(٢٨) قالوا : قوم موسى في الباطن هم أهل الإسلام، ^(٢٩) وفي قوله تعالى : (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) ^(٣٠)، يقول السيد عبد الله العلوي : تدل الآية على إمامته - أي عليّ - دون سواه، للحصر، وعدم اتصاف غيره بهذه الصفات، وعبر عنه بصيغة الجمع تعظيماً، أو لدخول أولاده الطاهرين) ^(٣١) ومثال آخر ما فسروا به قوله تعالى (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون، فلولا إذا بلغت الحلقوم، وأنتم حينئذ تنظرون) ^(٣٢) قالوا (وتجعلون رزقكم) : أي أن شكر النعمة التي رزقكم وما منّ عليكم بمحمد وآله، (أنكم تكذبون) أي بوصيه (فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون) إلى وصيه علي عليه السلام يبشر وليّه بالجنة (ونحن أقرب إليه منكم) ^(٣٣) يعني أقرب إلى أمير المؤمنين علي منكم (ولكن لا تبصرون) أي : لا تعرفون ^(٣٤).

-
- ٢٦ مريم (١).
 ٢٧ العك، أصول التفسير وقواعده، ص ٢٤٦.
 ٢٨ الأعراف (١٥٩).
 ٢٩ الذهبي، التفسير والمفسرون، ٢ / ٣٣.
 ٣٠ المائدة (٥٥).
 ٣١ الذهبي، الاتجاهات المنحرفة في التفسير ص ٥٤، نقلاً عن تفسير القرآن للسيد عبد الله العلوي.
 ٣٢ الواقعة (٨٢-٨٤).
 ٣٣ الواقعة (٨٥).
 ٣٤ الذهبي، التفسير والمفسرون ٧١ / ٢.

وعندما يعرض البحراني لقوله تعالى (إنكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك) ^(٣٥)

يفسرها بقوله : ”اختلف في ولاية هذه الأمة، فمن استقام على ولاية عليّ دخل الجنة، ومن خالف ولاية علي دخل النار“ ^(٣٦)

وفي تفسير إبراهيم بن فرات الكوفي أحد علماء الإمامية الاثنى عشرية في القرن الثالث الهجري، يقول في تفسيره لقوله تعالى : (عم يتساءلون، عن النبأ العظيم، الذي هم فيه مختلفون) ^(٣٧) : كان علي بن أبي طالب عليه السلام يقول لأصحابه : أنا والله النبأ العظيم الذي اختلف فيه جميع الأمم بألسنتها، والله ماله نبأ أعظم مني، ولا - والله - آية أعظم مني“ ^(٣٨) وفي تفسير قوله تعالى : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) ^(٣٩) يحاول كل من الطبرسي والطباطبائي قصر أهل البيت على النبي صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين، وأن يجعل الآية خاصة بهؤلاء الخمسة، وأن الإرادة فيها تحتل الإرادة المحضة، والإرادة التي يتبعها التطهير وإذهاب الرجس ثم يدعيان أن الاحتمال الثاني هو المراد. وأن الآية تدل على عصمة الأئمة من جميع القبائح ^(٤٠) ويعقب الشيخ الذهبي قائلاً : ”وبدهي أن

٣٥ الذاريات (٩-٨).

٣٦ الذهبي، الاتجاهات المنحرفة في التفسير، ص ٥٥، نقلاً عن كتاب «البرهان في تفسير القرآن» للبحراني ص ٤٨٠

٣٧ النبأ (٣-١)

٣٨ الذهبي، الاتجاهات المنحرفة في التفسير، ص ٥٥.

٣٩ سورة الأحزاب : ٣٣.

٤٠ الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ج ٧-٨، ص ٤٦٣-٤٦٢، والطباطبائي، محمد، حسين، الميزان في تفسير القرآن، ط ٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٩٧٣ - ج ١٦، ص ٣١٠ وما بعدها.

هذا الاتجاه في تفسير ما سبق من الآيات إنما دفع قائله إليه ما يعتقدونه في الإمامه والأئمة. ^(٤١)

قلت : ولا شك أن مثل هذا التفسير والتأويل حمل الآيات القرآنية إلى معان لا يحتملها اللفظ، فلا بد من الانتباه والحذر.

الاتجاه المنحرف في التفسير للخوارج :

نشأت هذه الفرقة بعد حادثة التحكيم، ثم دبّ الخلاف بينهم ففترقوا أحزاباً، كل حزب يفارق الآخر في المبدأ والعقيدة، ولكن يجمع الكل على مبدأين هما :

١. تكفير علي، ومعاوية، والحكمين، وأصحاب الجمل، وكل من رضي بالتحكيم.

٢. وجوب الخروج على السلطان الجائر، وهناك مبدأ ثالث يقول به أكثر الخوارج وهو التكفير بارتكاب الكبائر ^(٤٢).

قالت الخوارج : إن الله أنزل في شأن علي قوله (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام) ^(٤٣) فقد استدلو على تكفير مرتكب الكبيرة بقوله تعالى : (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) ^(٤٤) فقالوا : إن تارك فريضة الحج كافر بدليل قوله

٤١ الذهبي، الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم، ص ٥٦

٤٢ البغدادي، عبد القاهر، الفرق بين الفرق، تحقيق إبراهيم رمضان، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت ١٩٩٧، ص ٧٨ وما بعدها، وانظر الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق : أمير علي مهنا، علي حسن فاعور، الطبعة السابعة، دار المعرفة، ١٩٩٨، ص ١٣٢-١٣٣.

٤٣ البقرة (٢٠٤)

٤٤ آل عمران (٩٧)

تعالى : (ومن كفر) واستدلوا أيضاً بقوله تعالى : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) ^(٤٥) قالوا إن كل مرتكب المعصية مهما كانت فهو كافر وذلك لأن الذي يرتكب الذنب يكون قد حكم بغير ما أنزل الله. ^(٤٦)

وفي تفسير قوله تعالى : (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) ^(٤٧) قال صاحب كتاب (هميان الزاد) : ”فمودة قرابته صلى الله عليه وسلم من لم يبدل منهم ولم يغير مثل : فاطمة وحمزة والعباس وابنه رضي الله عنهم واجبة.. المراد بآله الذين لم يبدلوا فخرج علي ونحوه ممن بدّل..“ ^(٤٨)

وهكذا استدل الخوارج على آرائهم وما ذهبوا إليه من مذهب بآيات قرآنية بعيداً عن الموضوعية، والفهم السليم، بل أخضعوا هذه الآيات لأهوائهم الباطلة.

الاتجاه المنحرف في التفسير للصوفية :

للمتصوفة كغيرهم من طوائف المسلمين - دراسات في القرآن الكريم، وكان لهم تفاسير ومؤلفات حوتها المكتبة الإسلامية، قديماً وحديثاً. وكانت دراسات المتصوفة للقرآن وشروحهم له، عليها طابع التصوف. فالصوفي - كغيره من أصحاب الفرق - بنى له نظريات علمية فلسفية أولاً ثم فسر القرآن على هذه النظريات بعد ذلك. والذي

٤٥ المائدة (٤٤)

٤٦ الذهبي، الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم، ص ٦٣-٦٤، وانظر : عبد العزيز، أمير، دراسات في علوم القرآن، ط١، دار الفرقان، عمان، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٨٣، ص ١٦٥.

٤٧ الشورى (٢٣)

٤٨ الذهبي، الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم، ص ٦٨

يستعرض التفسير الصوفي النظري وما فيه من تفسير إشاري فيضي يجد في هذا أو ذاك اتجاهًا منحرفاً عن النهج القويم لتفسير القرآن الكريم، فالتفسير الصوفي النظري تفسير يخرج بالقرآن - في الغالب - عن هدفه الذي يرمي إليه.. فمثلاً ابن عربي يميل ببعض الآيات إلى ما يذهب إليه من القول بوحدة الوجود ففي تفسير قوله تعالى : (وإلهكم إله واحد) ^(٤٩) قال : (... إن الله تعالى خاطب في هذه الآية المسلمين. والذين عبدوا غير الله قربَةً إلى الله فما عبدوا إلاّ الله. فلما قالوا : ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فأكدوا ذكر العلة، فقال الله لنا : إن إلهكم وإله الذي يطلب المشرك القربة إليه بعبادة هذا الذي أشرك به واحد، كأنكم ما اختلفتم في أحديته... ” ولما فسر قوله تعالى : (واذكر اسم ربك، وتبتل إليه تبتيلاً. رب المشرق والمغرب) ^(٥٠) قال : ”أذكر ربك الذي هو أنت، أي اعرف نفسك واذكرها ولا تنسها فينسك الله، واجتهد لتحصيل كمالها بعد معرفة حقيقتها.. ” رب المشرق والمغرب “أي الذي ظهر عليك نوره فطلع من أفق وجودك بإيجادك، والمغرب : الذي اختفى بوجودك وغرب نوره فيك واحتجب بك“ ^(٥١)

قلت : ومثل هذا التفسير لا يقوم إلاّ على الهوى والضلال و الرأى الفاسد المردود.

الاتجاه المنحرف في التفسير للإخباريين والقصاص :

اشتمل القرآن الكريم على كثير من القصص : منه ما يتعلق بأخبار الأنبياء مع أممهم، ومنه ما يتعلق بأخبار الماضين ممن ليسوا

٤٩ البقرة (١٦٣)

٥٠ المزمّل (٨-٩)

٥١ الذهبي، الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم، ص ٧٠-٧٢، وانظر عبد العزيز، دراسات في علوم القرآن، ص ١٦٥-١٦٧

بأنبياء ولا مرسلين، كقصة أصحاب الكهف، وقصة ذي القرنين، وقصة الذي مر على قرية... وقصة أصحاب الجنة وغيرها من القصص... ولما كانت النفس عادة تتشوق إلى معرفة تفاصيل الحوادث وجزئياتها، وجدنا من المسلمين في عهد الصحابة من كان يرجع إلى بعض من أسلم من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام، وكعب الأحبار يسألونهم عن بعض جزئيات هذه الحوادث... وهكذا أخذ الصحابة عن أهل الكتاب فيما يتفق مع شريعتنا وكانوا يكذبونهم فيما لا يتفق معها... ولكن هل بقي التحفظ في رواية الإسرائيليات على ما كان عليه في عهد الصحابة ؟ لا، فبعد عصر الصحابة رضوان الله عليهم زادت رواية التابعين للإسرائيليات هكذا حتى امتلأت بعض كتب التفسير بهذه الإسرائيليات.

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في تفسير الثعلبي لما عرض لتفسير قوله تعالى:

(إذ أوى الفتية إلى الكهف) ^(٥٢) روى عن السدى ووهب بن منبه رواية طويلة ذكر فيها أسماء هؤلاء الفتية واسم كلبهم، وفيها حوار غريب بين الكلب والفتية وأعجب ما فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم طلب من ربه أن يريه أصحاب الكهف، فأجابه الله أنه لن يراهم في الدنيا، وأمره أن يرسل إليهم أربعة من أصحابه ليبلغوهم رسالته. ويعقب الذهبي على هذه الرواية فيقول: ”والعجيب أن الثعلبي يمر على هذه الرواية دون أن يتعقبها بكلمة تكذيب لها أو شك فيها، ولست أرى إلا أنها رواية تحمل في طياتها دليل كذبها.. الخ.“ ^(٥٣)

٥٢ سورة الكهف (١٠)

٥٣ الذهبي، الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم، ص ٢٧-٢٩

الاتجاه المنحرف في التفسير لأصحاب المذاهب النحوية

وسبب انحراف هؤلاء في تفاسيرهم ؛ أنهم وضعوا وقَّعدوا القواعد في النحو ثم بحثوا في الآيات القرآنية عن ما يؤيد مذهبهم النحوي، وبالتالي أولوا الآيات التي لا تتفق مع مذهبهم... وهكذا نشأ لديهم انحراف في التفسير.

ومن الأمثلة على ذلك : إنكار الزمخشري قراءة ابن عامر - (وهي قراءة متواترة) في قوله تعالى

(وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ) ^(٥٤) فقال في ذلك : (وأما قراءة ابن عامر، قتل أولادهم شركائهم، برفع القتل ونصب الأولاد، وجرّ الشركاء، على إضافة القتل إلى الشركاء، والفصل بينهما بغير الظرف - وهو المفعول - فشيء لو كان في مكان الضرورات - وهو الشعر - لكان سمجا مردوداً، كما سَمَّجَ وَرَدٌ :

(زَجَّ القُلُوصَ أَبِي مَزَادَةَ) ^(٥٥) فكيف به في الكلام المنشور ؟ فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته؟ والذي حمل - يريد ابن عامر - على ذلك أنه رأى بعض المصاحف ”شركائهم“ مكتوباً بالياء ^(٥٦) ولو قرأ بجر الأولاد والشركاء - لأن الأولاد شركاؤهم في أموالهم، لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب) ^(٥٧).

٥٤ الأنعام : ١٣٧

٥٥ البيت هو : (فَرَجَّجْتُهَا بِمَزَجَةٍ زَجَّ القُلُوصَ أَبِي مَزَادَةَ) من التحقيق على الكشف ج ٢ / ص ٦٧.

٥٦ قال أبو عمرو الداني : (في مصاحف أهل الشام) (كذلك زَيْنٌ لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم) بالياء وفي سائر المصاحف (شركاؤهم بالواو) انظر الداني، عثمان بن سعيد، المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط، تحقيق محمد الصادق فحماوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ص ١٠٧.

٥٧ الزمخشري، محمود بن عمر، تفسير الكشف مع حواشيه الأربعة ، تحقيق عبد السلام شاهين، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠، ٢ / ٦٧.

هذا وفي تفسير الزمخشري كثير من المواقف التي يرد فيها الزمخشري القراءات المتواترة بحجة أنها لا تتفق ومذهبه النحوي.^(٥٨)

وقد عاب عليه أبو حيان رده لقراءة أبي عامر^(٥٩)، كما عاب عليه أيضاً ابن الجزري^(٦٠) - رحمه الله - حيث قال : (والحق في غيرما قاله الزمخشري، ونعود بالله من قراءة القرآن بالرأي والتشهي، وهل يحل المسلم القراءة بما يجد في الكتابة من غير نقل ؟ بل الصواب جواز مثل هذا الفصل وهو الفصل بين المصدر وفاعله المضاف إليه بالمفعول في الفصيح الشائع الذائع اختياراً، ولا يختص ذلك بضرورة ذلك الشعر، ويكفي في ذلك دليلاً هذه القراءة الصحيحة المشهورة التي بلغت التواتر، كيف وقارئها ابن عامر من كبار التابعين الذين أخذوا عن الصحابة كعثمان بن عفان وأبي الدرداء رضي الله عنهما وهو مع ذلك عربي صريح من صميم العرب، فكلامه حجة وقوله دليل، لأنه كان قبل أن يوجد اللحن ويتكلم به).

والذي أوقع الزمخشري في المحذور، ما عليه جمهور البصريين من عدم جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف إلا لضرورة الشعر

ولله دَرِّ إمام النحاة، أبي عبدالله بن مالك حيث قال في كافيته الشافية:

وَحُجَّتِي قِرَاءَةُ ابْنِ عَامِرٍ	فَكَمْ لَهَا مِنْ عَاضِدٍ وَنَاصِرٍ
------------------------------------	-------------------------------------

٥٨ الذهبي، الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم، ص ٤٠.

٥٩ المرجع السابق، ص ٣٩.

٦٠ ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، تقديم علي محمد الضباع، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨، (١٩٨/٢).

وقد بين ابن مالك رحمه الله قوة هذا الفصل من جهة المعنى^(٦١) كما عاب ابن المنير السكندري في حاشيته على الكشف ردّ القراءة المتواترة لأنها ليست رأياً من ابن عامر وإنما نقلاً صحيحاً متواتراً عن النبي صلى الله عليه وسلم^(٦٢) واكتفى بهذا القدر على انحراف أهل النحو في تفسيرهم لكتاب الله عز وجل.

الاتجاه المنحرف في التفسير العلمي

من الأمثلة عليه ما ذكره الشيخ الذهبي نقلاً عن طنطاوي جوهرى في تفسير قوله تعالى : (وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة..) ^(٦٣) حيث قال جوهرى : ”... وأما تحضير الأرواح فإنه من هذه الآية استخراجها. إن هذه الآية تتلى والمسلمون يؤمنون بها حتى ظهر علم الأرواح بأمريكا أولاً، ثم بسائر أوروبا ثانياً...” ثم علق الذهبي على ما ذهب إليه طنطاوي قائلاً : ”ولست أشك في أن مثل هذا التفسير خروج بالقرآن عن مقصده وانحراف به عن هدفه، فالقرآن لم ينزل على محمد صلى الله عليه وسلم ليكون مصدراً لجوامع الطب، وضوابط الفلك، ونظريات الهندسة، وقوانين الكيمياء، وعالم الأرواح وكيفية تحضيرها... لا بل هو كتاب هداية يخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور...” ^(٦٤) قلت : ولا يمنع أن يكون بجانب الهداية احتواء الآيات القرآنية الحقائق العلمية والكونية. كما أن التفسير العلمي ضمن الشروط

٦١ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ٢ / ١٩٨ - ١٩٩.

٦٢ السكندري، أحمد بن المنير، الانتصاف حاشيته على تفسير الكشف للزمخشري، ٢ / ٦٦

٦٣ البقرة : ٦٧

٦٤ الذهبي، الاتجاهات المنحرفة في التفسير، ص ٨١ - ٨٨

يعتبر من التفسير بالرأي المقبول، أما إذا تجاوز الشروط المقررة، فقد انحرف عن مساره وسار ضمن التفسير بالرأي المذموم. والله تعالى أعلم.

الاتجاه المنحرف في التفسير لبعض مدّعي التجديد من المحدثين

الامثلة على هذا الاتجاه كثيرة، والانحراف فيها بين، ومن ذلك ما فسر به أبو زيد الدمنهوري قوله تعالى (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين)^(٦٥) حيث يقول (يسبحن) يعبر عما تظهر الجبال من المعادن التي كان يسخرها داود في صناعته الحربية، و(الطير) يطلق على كل ذي جناح، وكل سريع السير من الخيل والقطارات البخارية والطائرات الهوائية“ وعندما عرض لقوله تعالى : ”... ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها...“^(٦٦) حيث يقول الدمنهوري: ”تجري بأمره“ الآن تجري بأمر الدول الأوروبية وإشاراتها في التلغراف والتلفونات الهوائية“^(٦٧). قلت: وهذا بلا شك خروج بالآيات عن مدلولها وانحراف في تأويلها.

ومنه أيضاً تفسير الشيخ أحمد حسن الباقوري، لقوله تعالى : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)^(٦٨) حيث قال إن الآية لا تتناول إلا من أنكر بقلبه وجحد بلسانه، أما من عرف بقلبه أن هذا الحكم حكم الله، وأقر بلسانه أنه حكم الله ثم أتى بما يضاده، فإنه على ذلك حاكم بما أنزل الله، وإن كان

٦٥ الأنبياء : ٧٧

٦٦ الأنبياء : ٨١

٦٧ الذهبي، الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن، ص ٩١ - ٩٦.

٦٨ المائدة : ٤٤

تاركاً له، فلا يلزمه دخوله تحت هذه الآية واعتباره كافراً، ثم وصف هذا التفسير للآية بأنه ينفي عن الأمة حرجاً لا قبل لها به ولا خيرة لها فيه، إذ يستطيع القائلون به أن يتعلقوا بقضية العموم في الآية، فيرموا بالكفر حكام أمتنا الذين يستمدون القوانين واللوائح والاشتراعات من قوانين عالمية لا صلة لها بالإسلام“ وقال أيضاً: ”إن حكام البلاد الإسلامية اليوم هم في حالة الضرورة التي تبيح بعض المحظور على أن يرتقبوا الوقت المناسب حين تكون للأمة قوة تحمي بها تقاليدها وشرائعها ومدنيتها، والإسلام نفسه سلك هذا المسلك فعمل أولاً على تكوين العقيدة في الأمة، ثم على تكوين شريعتها والقرآن مكيه ومدنيّه يؤيد ذلك“ وقد علق د. الرومي على ذلك قائلاً: ”وبالمناسبة، فإنه قال هذا الباطل وهو يتولى منصب وزير الأوقاف..“^(٦٩) قلت : لا يسلم للشيخ فيما ذهب إليه لأنه استخدم قاعدة أصولية في غير موضعها وقاس واقعنا الحاضر على العهد المكي وهذا قياس مع الفارق..

ومنه أيضاً ما ذكره جواد كسار في كتابه (وعى القرآن، مدارس مع الشهيد بهشتي) حيث يقول بهشتي : ”أحياناً يستلهم الأفراد من كتاب الله نوعاً من الانحرافات المضحكة. فقد حصل لي عملياً - وكنموذج لهذه الانحرافات تبعت على السخرية - وأن إطلعت على نموذج أعدّه أحد طلبة العلوم الدينية ممن أمضى مراحل شوطه الدراسي إلى نهاية مرحلة السطوح بشكل جيد نسبياً، فهذا السيد يعطي دروساً في مدنيته، وقد دفع لي ما يقارب ٣٠٠ صفحة مما كتبه في تفسير سورة (الحمد) وسورة

٦٩ انظر الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ١٠٦٥/٣ - ١٠٦٦، بتصرف

(البقرة)...عندما طالعت اثنتي عشرة صفحة من النص وجدته مليئاً بالأخطاء... فعثرت على مسألة سأذكرها فيما يلي ؛ عندما يصل الكاتب إلى آية ”أقيموا الصلاة“ تراه يفسرها على أساس تسعير لهيب الثورة، فتغدو الصلاة لديه (لهيب الثورة) وليست بمعنى الصلاة المتداولة بين المسلمين، ثم يعقب قائلاً : ”ما يفيد كلام الكاتب أن الجميع بدءاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه إلى جميع المسلمين الآخرين فهموا إقامة الصلاة بالمقلوب خلال أربعة عشر قرناً... ان ما ذهب إليه الكاتب هو التفسير بالرأي وتلاعب بالنص القرآني وفق أهوائه ” (٧٠)

قلت : وهذا تأويل فاسد، مردود على صاحبه بل حرام القول به.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وعلى سيدنا محمد وآله وصحبه أفضل السلام وأزكى الصلوات وبعد.

فمن خلال دراستي وقراءتي في هذا الموضوع، ومن خلال اطلاعي على ما دون العلماء فيه، أسجل هذه النقاط التالية :

- إن الانحراف في اتجاهات التفسير ينقسم إلى قسمين :

قسم منها كفر ويخرج صاحبها من الملة، وقد أعرضت عنه في بحثي، كتفسير الزنادقة والملاحدة وغلاة الشيعة والباطنية وبعض الفلاسفة، وتفسير العلمانيين، والاشتراكيين والشيوعيين.

٧٠ كسار، جواد علي، وعي القرآن، مدارس مع الشهيد بهشتي، مؤسسة الثقليين الثقافية، ص ٢٣-٢٥، بتصرف.

والقسم الثاني لا يخرج صاحبه عن دائرة الإسلام، ولكن القائل به يخرج عن الاستقامة والصواب، بل أنه قد يآثم ويقع في الحرام نتيجة تفسيره المذموم.

- إن الخطأ امر وارد لانه لا عصمة لاحد الا للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن من الاخطاء ما يمكن تبريره ومنها ما لا يمكن تبريره فما كان متعلقا بالمنهج والطريقة فمع اصحاب هذه الاخطاء نكون منصفين فنقبل ما كان صحيحا ونرد ما كان خاطئا اما ما كان متعلقا بالبعث والمقصد فهذا لا يمكن قبوله بحال من الاحوال لان هذا التفسير لا يقف وراءه الا الكيد للدين وهدم الملة.

وفي الخاتمة أقول : إن موضوع التفسير بالرأي موضوع واسع جداً، ولو يعطى له حقه في البسط والتفصيل لبلغ المجلدات. ولهذا حاولت أن أسجل خلاصة ما ذكره العلماء في الموضوع وأن أنقل آرائهم فيه بإيجاز أحياناً، وبالتفصيل أحياناً أخرى.

الاتجاهات المنحرفة في التفسير

قائمة المصادر والمراجع

١. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ط١، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ٢٠٠٢.
٢. الذهبي، محمد حسين، الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم، دوافعها ودفعها، ط١، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٦م.
٣. العك، خالد، أصول التفسير وقواعده، ط٣، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٤م.

٤. المودودي، أبو الأعلى، تفهيم القرآن، تعريب أحمد إدريس، الطبعة الأولى، دار القلم، الكويت، ١٩٧٨م.
٥. قطب، سيد، خصائص التصور الإسلامي، دار الشروق، بيروت.
٦. قطب، سيد، في ظلال القرآن، ط ٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧١م.
٧. ابن تيمية، تقي الدين أحمد، مقدمة في أصول التفسير، ط ٣، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٩٧هـ.
٨. الأردبيلي، المحقق، زبدة البيان في براهين أحكام القرآن، تحقيق رضا الاستادي وعلي أكبر زماني نژاد، ط ٢، انتشارات مؤمنين، قم، إيران، ١٤٢١هـ.
٩. السائيس، محمد علي وآخرون، تفسير آيات الأحكام، ط ٢، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، دار القادري، دمشق، بيروت.
١٠. الرومي، فهد بن عبد الرحمن، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ط ٣، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٩٧م.
١١. الرومي، فهد بن عبد الرحمن، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، ط ٢، مكتبة التوبة، ١٤١٦هـ.
١٢. عبد الرحمن، عائشة، التفسير البياني للقرآن الكريم، ط ٣، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨م، الجزء الثاني، ط ٢، ١٩٧٣م.
١٣. الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ط ٦، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٥م.
١٤. الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ط ١، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.

١٥. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ط ٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
١٦. البغدادي، عبد القاهر، الفرق بين الفرق، تحقيق إبراهيم رمضان، ط ٢، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧.
١٧. الشهرستاني، محمد عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق أمير علي مهنا، علي حسن فاعور، ط ٧، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٨.
١٨. عبد العزيز، أمير، دراسات في علوم القرآن، ط ١، دار الفرقان، عمان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.
١٩. الداني، عثمان بن سعيد، المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط، تحقيق محمد الصادق فحماوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
٢٠. الزمخشري، محمود بن عمر، تفسير الكشاف مع حواشيه الأربعة، تحقيق عبد السلام شاهين، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.
٢١. ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، تقديم علي محمد الضباع، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.
٢٢. السكندري، أحمد بن المنير، الانتصاف حاشية على تفسير الكشاف، تحقيق عبد السلام شاهين، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥.
٢٣. حسن عباس، فضل، المفسرون ; مدارسهم ومناهجهم ط ١ دار النفائس، الأردن، ٢٠٠٧.

٢٤. حسن عباس، فضل، التفسير ; أساسياته ومناهجه، ط١، مكتبة
دنديس،الأردن، ٢٠٠٥
٢٥. كسّار، جواد علي، وعي القرآن، مدارس مع الشهيد بهشتي، مؤسسة
الثقلين الثقافية.

